النظرية النقدية عند ماكس هوركهايمر

" من العقل الى كسوف العقل "

م . د. خضر دهو قاسم

الجامعة المستنصرية – كلية الآداب – قسم الفلسفة

كلمات مفتاحية :(ماكس هوركهايمر، النظرية النقدية ، مدرسة فرانكفورت، نقد العقل الغربي)

(Critical theory , Max Horkheimer , Eclipse of mind)

Critical Theory of Max Horkheimer

"From mind to eclipse of mind"

Lecturer .Dr. Khedr D.Qasim

Mustansiriyah Uni.– College of Arts – Philosophy Dept.

ملخص البحث

يعرض البحث بالتحليل والنقد لمشروع (النظرية النقدية) الذي صاغه الفيلسوف الالماني (ماكس هوركهايمر ١٨٩٥-١٩٧٣) Max.Horkheimer ، مع زملائه في عقد الثلاثينات ، ونمى وترعرع حتى الستينات. ذلك المشروع الذي رسم (عبر التنظير العقلي النقدي) الأمل لخلق عالم تنتظم فيه حاجات الناس ونشاطاتهم وفق العقل وتتوافق معه.

الا أن هذا الأمل (الحلم) كان يحمل في طياته الكابوس أيضا . اذ ، كان هوركهايمر ممزقاً بين التفاؤل والتشاؤم بشأن المستقبل ، او كما صرح هو : ((عند منتهى تقدم عقل ...لا يبقّى له سوى أن يسقط في البربرية أو يبدأ التاريخ)). فقد اراد ان تستخلص النظرية النقدية من التاريخ فكرة تنظيم إجتماعي يتناسب مع العقل والمجتمع ، الا ان تلك الفكرة ظلت محايثةُ للعمل الإنساني من دون أن تكون حاضرة بالشكل الصحيح ، لدى الأفراد أو في الفكر العام للمجتمع .

ومع إن المنحى العام الذي انطلق منه هوركهايمر هو العقل التنويري ، الذي يشير إلى فكرة التقدم وتحرير الإنسان من الخوف وجعله سيداً .إلا انه انتهى في نهاية المطاف الى ان اعتبر العقل قد جُرد من الأخلاق والحق ، بعد أن أزاح العلم الحديث النقاب عن مطلبه العام بالمعرفة النظرية وأفصح عن وجهه الحقيقي الكامن في المنفعة التقنية. فالتطور التكنولوجي والعقل الأداتي الذي عايشه هوركهايمر في ظل الرأسمالية الامريكية ، أديا إلى هيمنة شاملة على الإنسان بحيث لم يعد العالم في ظلهما سوى مجال للمراقبة والخداع، حيث انتكست مبادئ التنوير إلى ذرائع سياسية متكاملة، وتحولت مدنية عصر التصنيع في النهاية الى قيم ومعايير نفعية وأنانية ، أصبحت هي السمة الأبرز للحضارة المعاصرة ، بدل أن يكون الإنسان سيد الآلة وهو القادر على توجيهها لتوفير السعادة الحقيقية للبشر.

Abstract

The research presents the analysis and critique of the "Critical Theory" project, which was formulated by the German philosopher Max Horkheimer (1980-1985) with his colleagues in the 1930s, and grew up until the 1960s. This project, which (through critical mental theorizing) drew the hope of creating a world in which people's needs and activities are organized according to reason and compatible with it.

But this hope (dream) was also a nightmare. Horkheimer was torn between optimism and pessimism about the future, or as he said: "When the mind is at its highest ... it can only fall into barbarism or history begins." He wanted to derive the critical theory of history from the idea of social organization commensurate with the mind and society, but that idea remained neutral to humanitarian work without being present properly, in individuals or in the general thought of society.

مدخل الى شخصية هوركهايمر وتاريخ بلورة النظرية النقدية

في دائرة المنظرين النقديين الذين اجتمعوا في ثلاثينيات القرن العشرين في مدينة فرانكفورت " ثم لاحقاً في نيويورك " ، احتل اسم ماكس هوركهايمر موقعاً ذا أهمية بالغة ، ليس لكونه مدير المعهد (معهد الأبحاث الاجتماعية ، الذي انتموا اليه هؤلاء المنظرين) ورئيس تحرير مجلته ، الذي أبقى الخطوط التنظيمية في يديه . بل ، بوصفه "العميد الروحي" الذي صاغ برنامج "النظرية النقدية" لهذا المعهد ، وموّجه الكتابات الجماعية للفئة التي اجتمعت حوله من المثقفين الألمان . إن هوركهايمر ، وكما يصفه هابرماز : " يبقى شخصية المجموعة التي سُميت فيما بعد " مدرسة فرانكفورت " الملتزم الأقوى من المشاركين الآخرين جميعا "[١] .

ما يعزز رأي هابرماز هذا ، هو ما ذهب اليه جُملة من الباحثين في تاريخ مدرسة فرانكفورت وأفكارها، في إن تولى هوركهايمر رئاسة "معهد الأبحاث الاجتماعية" في يناير ١٩٣١م بشكل رسمي، منحه طاقة تجديدية وتوجهات مختلفة عن مرحلة سلفه (غرونبيرغ) ، إذ حلت الفلسفة بوصفها موضوعاً موّجهاً رئيسياً للمعهد بدلاً عن الاقتصاد السياسي الماركسي، وتم الإعلان عن ولادة (النظرية النقدية) لمدرسة فرانكفورت. فجاءت البداية الفعلية لبلورة نظرية فلسفية مميزة مع اعتلاء (ماكس هوركهايمر١٨٩٥-١٩٧٣) Max.Horkheimer وظيفة مدير المعهد، إذ كان عصر (غرونبيرغ) مرحلة لما قبل تاريخ مدرسة فرانكفورت، ليس إلا.[٢]

فمن هو هوركهايمر، وكيف استطاع الخروج بالمعهد من توجه ماركسي أشبه بالتقليدي إلى تكوين مدرسة فلسفية لها نظريتها الخاصة والمستقلة ؟

ولد (هوركهايمر) عام ١٨٩٥م في شتوتغارت، وهو ابن أحد أصحاب المصانع في شتوتغارت. أنهى دراسته الثانوية عام ١٩١١، ثم بدأ بتوجيه من والده تدريباً في التجارة .[٣] إذ أمل الأخير أن يأخذ (ماكس) على عاتقه إدارة أعمال العائلة التجارية، إلا أنه تمرد على رغبة والده تلك متجنباً المصير الذي انتهى إليه من قبل (فردريك انجلز) ، حين أنفق الكثير من سنوات حياته في إدارة مصنع والده في انكلترا. [٤]

وهكذا، تحول هوركهايمر إلى دراسة الأدب أثناء إقامته في أوربا، إذ درس في بروكسل ولندن بين عام ١٩١٣ و ١٩١٤ اللغة الفرنسية والانجليزية بصحبة صديقه (فردريك بولوك) F.Pollock[٥]. ثم عاد إلى ألمانيا ليبدأ دراسته الجامعية عام ١٩١٩ لعلم النفس والفلسفة في جامعات ميونخ وفرايبورغ وفرانكفورت، حتى حصل على الدكتوراه من الأخيرة بعد عام ١٩٢٢ عن أطروحته (نقد ملكه الحكم عند كانط). وفي سنوات دراسته تلك كان قد تعرف على (فليكس فايل) و (ثيودور ادورنو) T.Adorno.[٦] وفي عام ١٩٢٦ عمل هوركهايمر

محاضراُ في جامعة فرانكفورت، ثم عَين عام ١٩٣٠ أستاذا للفلسفة الاجتماعية بعد أن قدَّم أطروحته المؤهلة للأستاذية عام ١٩٢٩ (بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية)، وفي عام ١٩٣١ أصبح وهو في الخامسة والثلاثين من عمره ، مديراً لما سُمي آنذاك (معهد الأبحاث الاجتماعية) ، وهو معهد بحثّي مستقل ذا توجهات ماركسية.[٧]

ومع وصول هتلر إلى السلطة عام ١٩٣٣، وبعد مدة وجيزة ، قامت الحكومة الألمانية النازية بإغلاق المعهد ومصادرة مكتبته، مما عجَل برحيل أعضاء المعهد بسبب مطاردتهم من قبل السلطات النازية بتهمة (الميول المحاربة للدولة)، إذ كان انتماؤهم لليسار السياسي فضلاً عن أصولهم اليهودية، وراء تلك التهمة[٨]. وعلى إثر ذلك ، نقل هوركهايمر المعهدعام ١٩٣٤ إلى الولايات المتحدة الأمريكية[٩].

وهناك ، انقسم أعضاء المعهد على فريقين، الأول وضم الأصدقاء المقربين الذين شكلوا الدائرة الضيقة للمعهد، وهم هوركهايمر وفردريك بولوك F.Pollock و ثيودور ادورنو T.W.Adorno، وقد استمر هؤلاء بالعمل داخل المعهد سوية في جامعة كاليفورنيا، أما الفريق الثاني، فقد كانت صلته واهية بالمعهد، وهم هربرت ماركيوز H.Marcuse و ليو لوفنتال L.Lowenthal، اللذين انتقلا للعمل مع الحكومة الأمريكية ، أما اريك فروم Eric.Fromm ، فقد أنهى علاقته بالمعهد بشكل مبكر منذ عام ١٩٣٨[١٠].

وبعد هزيمة النازية في الحرب العالمية الثانية بعدد من السنوات ، انتهت رحلة المعهد القسرية في الولايات المتحدة عام ١٩٤٩ ، فعاد هوركهايمر إلى ألمانيا، وافتتح ثانية معهد الأبحاث الاجتماعية في آب ١٩٥٠ في مقره القديم في مدينة فرانكفورت[١١]. إذ أُطلق هناك لأول مرة اصطلاح (مدرسة فرانكفورت) بعد عودة المعهد إلى مدينة فرانكفورت عام ١٩٥٠ كما يؤكد مارتن جاي[١٢] . ويعلق باحث آخر، على هذه التسمية بأنها استخدام مُضلل إلى حد كبير، كون المدة التي قضاها المعهد في أمريكا، قد امتدت لخمسة عشر عاماً، وقد أنجز فيها أعضاءه أهم أعمالهم الفكرية . ومن الأجدر برأيه استخدام مصطلح (النظرية النقدية) للإشارة إلى الحصيلة الفكرية لعمل معهد الأبحاث الاجتماعية بوصفه مصطلحاً جامعاً [١٣] .

وعلى أية حال، كان لإقامة هوركهايمر وزملائه في الولايات المتحدة الأمريكية أهمية شديدة في تنمية أطروحات النظرية النقدية ، بفضل خروج أعمالهم من النطاق اللغوي الأحادي، الذي أتاح لهم الشهرة العالمية، فضلاً عن أن احتكاكهم بالواقع الأمريكي وطبيعة المجتمع الرأسمالي المتقدم ، أسهم في الدفع باتجاه إعادة التفكير بالماركسية ، كمنهج عقائدي كلاسيكي، أكثر فأكثر [١٤].

وفي كل هذه المراحل من عمر النظرية النقدية ، كان هوركهايمر الشخصية الأولى في المعهد، التي كان لوجودها الأثر الأبرز في استمرار بقاء وجود هذه المؤسسة، رغم الظروف الصعبة التي

مرت بها ، سواء في المهجر في أمريكا أو بعد عودة المعهد إلى ألمانيا في الخمسينيات. ففي فرانكفورت عاد لهوركهايمر كرسي الأستاذية للفلسفة الاجتماعية في جامعتها (جامعة غوته حالياً)، ثم صار رئيساً لقسم الفلسفة ، ثم رئيساً للجامعة من عام ١٩٥١ إلى عام ١٩٥٣. بعد ذلك ، عاد هوركهايمر ثانية إلى الولايات المتحدة ليعمل أستاذاً محاضراً في جامعة شيكاغو من عام ١٩٥٤ حتى تقاعده عام ١٩٥٩، وكان في هذه السنوات على اتصال بالمعهد في فرانكفورت وبملحقه في أمريكا. وكان أخر ظهور له في السنوات ١٩٦٧-١٩٧٠ حيَن تم إعادة طبع مؤلفاته، وأخيرا توفي عام ١٩٧٣[١٥].

ومن الجدير بالذكر إن العقدّين الأخيرين من حياة هوركهايمر ، قد شهدا تحولاً عن المفاهيم النظرية التي إنطلق منها مشروع النظرية النقدية في الثلاثينيات ، حيث ظهرت الفلسفة المتأخرة لماكس هوركهايمر في مذكرات ومقالات في هيئة تأملات فتحت الباب على مصراعيه على الفلسفة الدينية لشوبنهاور، ومثلت مراجعةً ذاتيةً لنظريته النقدية (المبكرة) أنتجت قطيعة لهوركهايمر "المُسن " مع عهده الفكري المبكر . ورغم إن هذه "القطيعة" بحاجة الى بحث مُفصل للإحاطة بمضامينها الفكرية – ليس مجاله هذا البحث – ، الا أني سأحاول وضع إشارات عنها كلما تطلب الأمر[١٦].

المبحث الأول : من النظرية التقليدية الى النظرية النقدية

(نحو عقلنة الواقع المعطوب)

إن تشخيص مشروع النظرية النقدية الأصلي ، لا يمكن له النجاح بدون تحليل معمَّق للمناقشات الداخلية التي ميَّزت النظرية الماركسية في ألمانيا منذ نهاية القرن التاسع عشر والتي لم تفقد بريقها في سنوات ١٩٢٠-١٩٣٠. ويجب أن نتذكَّر في هذا الصدد كيف كانت الاشتراكية الديمقراطية الألمانية مترددة بصورة متزايدة في النظر إلى "رأس المال" على أنه علم للاقتصاد، وفي قدرة النظرية الماركسية على النقد النظري الموازي لتطورات المجتمع البرجوازي للقرن العشرين [١٧].

كان مصدر هذا التردد بشأن جدوى النظرية الماركسية ، قد بلغ ذروته على أيدي مفكري النظرية النقدية ، كردة فعل على الواقع السياسي والاجتماعي الذي طمس صورة البروليتاريا "الطبقة العاملة " الثورية . فهذه المشكلة الرئيسية هي التي دفعت بإتجاه نشأة معهد البحث الاجتماعي ،

وأرغمت هوركهايمر للسعي لإيجاد أساس معياري للنظرية خارج تلك الطبقة. فأصبحت المهمة المزدوجة للنظرية النقدية تتضمن : [١٨]

١- تفسير إدماج البروليتاريا سايكولوجياً وثقافياً في الظروف التاريخية المختلفة ، وهو الجهد الذي أدى إلى إجراء تنقيح ، يدين بعمق إلى آراء فرويد ، ولأطروحة التشيؤ الواردة في كتاب لوكاتش "التاريخ والوعي الطبقي"
٢- محاولة إنقاذ أساس معياري للنظرية والبحث النقدي والعمل الهادف من جانب " شاهد مستقبلي " ، على ضوء نظرية ماركس التي عفى عليها الزمن عن البروليتاريا .
٣- تفكيك بنية الفلسفة الغربية بقصد إبراز دلائل انتكاس التنوير في بنية العقل الغربي ، وبيان هيمنة المناهج الفكرية الوضعية والأداتية التي طوعت لأجل خدمة أنظمة تقسيم العمل ، لا خدمة الإنسان.

ففي الحلقة التي تشكلت حول هوركهايمر تم ولادة النظرية النقدية ، في طورها الأول ، لإيجاد نظرية بديلة تضع في حسابها خيبات الأمل السياسية التي سببها غياب الثورة في الغرب ، وتطور الستالينية في الاتحاد السوفييتي ، وانتصار النازية في المانيا . فكان عليها أن تشرح إخفاق التوقعات الماركسية[١٩] .

وكانت توجهات هوركهايمر هذه ، واضحة منذ البداية ، وذلك حين نوه في محاضرته الافتتاحية في معهد الأبحاث ،"**الحالة الراهنة للفلسفة الاجتماعية ومهام معهد البحث الاجتماعي**" عن الأسس الفكرية التي سيقوم عليها البرنامج الفكري لنظريته النقدية ، حيّن تسأل عن الصلة التي يمكن عقدها، داخل مجتمع ما، في مرحلة زمنية محددة، بين الدور الاقتصادي ، والتغييرات التي يمكن أن تحدث في البنية النفسية لأفراد ذلك المجتمع ، وفي الأفكار والمؤسسات التي ينتجها: الدين، الفن، القانون، الأخلاق، الرأي العام، أسلوب الحياة، الرياضة والتسلية ...الخ[٢٠] ؟

وقد رفض هوركهايمر الابتسار الذي تذهب اليه كل من التوجهات المثالية والمادية معاً ، في اشتقاق كل صور الحياة من جوهر ميتافيزيقي واحد في محاولتيهما تفسير العلاقة بين الاقتصاد، المجتمع، الثقافة، والوعي. وعدّ رد كل شيء إلى الفكرة بأنه تلخيص وفهم سيء لهيجل، شأنه شأن محاولات التفسير المادي لحركة المجتمع والتأريخ ، برده إلى العامل الاقتصادي ، فهي إيجاز لفهم سيء لماركس . معتبراً ذلك أحكام غيبية مطلقة لمذاهب اختزالية في الفلسفة [٢١]. اذ

يقول : " **إن تطور الطبع البشري هو حقاً مشروط بالوضعية الاقتصادية كما بالقوى الفردية للفرد العيَن. لكن اللحظتين كلتيهما تتعايشان باستمرار على نحو أنه من غير الممكن ضمن جملة التطور أن تعرض إحداهما بوصفها العامل الفعّال من دون أن تنزل الأخرى ضمن هذا العرض نفسه**[٢٢]".

أي إن المنهج الملائم للتحليل، وفق هوركهايمر، لا ينبغي أن يكون ماركسياً مبتذلاً ، بان تكون شخصية الإنسان، وكذلك القانون والفلسفة ، ليس إلا مرآة عاكسة للاقتصاد، بل هو منهج يدرك التفاعل الجدلي بين الواقع المادي والواقع العقلي، فضلاً عن الدور الذي تلعبه حلقات الوصل النفسية.[٢٣] ولإنجاز هذا المشروع، عمل هوركهايمر على وضع برنامج بحث متخطي للفروع المعرفية (Supredisciplinary[٢٤]) لتحري المشاكل الاجتماعية والسياسية المعاصرة ، ويضم هذا المشروع: الفلاسفة، علماء الاجتماع، الاقتصاديين، المؤرخين، وعلماء النفس. في خلية عمل مشتركة[٢٥]. قاصداً من وراء ذلك التغلب على الطابع "الانشقاقي" للحياة العلمية الألمانية ، بسبب العداء العميق المتبادل بين مجالي الفلسفة والعلوم الاجتماعية ، الذي كان يحول دون إمكان إجراء بحوث مثمرة . فالبحوث التجريبية التي تجري من دون إرشاد المفاهيم العامة تميل الى الإتيان بكمية من البيانات غير الموحدة التي لا معنى لها ، كذلك ، التأمل الفلسفي المستقل يصبح ذاتياً محضاً وعقيماً إذا دأب على تجنب الارتباط بالحقيقة الحية في واقع الممارسة الاجتماعية [٢٦] . لقد أراد هوركهايمر أن يُخلص النظرية الماركسية من التفسيرات والقيود الدوغمائية ، كما عمل على تكييف النظرية النقدية مع العلوم الاجتماعية ، لأجل أن تنهض الفلسفة بوسائل علمية اجتماعية ، فكان ثمرة لهذه الجهود البحثية الجماعية كتاب "دراسات في السلطة والأسرة ١٩٣٦" [٢٧].

ومن الجدير بالذكر أن محاضرة هوركهايمر التي أشرنا اليها ، تضمنت نواة التمييز التحليلي بن " النظرية التقليدية والنظرية النقدية" ، فأصبحت لاحقاً ، عنواناً لمقال نشره هوركهايمر عام ١٩٣٧ شرح فيه منهجه فأكسب العبارة شهرتها ، واعتبرت بمثابة بيان تأسيسي لجماعته . وقد ساق هوركهايمر الحجة على أن النظرية التقليدية تقوم على نظرية معرفة سلبية متضادة ، وتظل قانعة بأن تصبح مرآة للحالة المعاصرة للتدهور الاجتماعي ، على عكس النظرية النقدية التي

تسعى عملياً لأجل إعادة صياغة الحياة الاجتماعية في تنظيم أكثر عقلانيةً وعدلاً[٢٨] . فهي نظرية راديكالية جعلت مهمتها الخوض في الواقع الاجتماعي المعاش من اجل إنتاج بدائل عنه، بعكس (النظرية التقليدية)، التي شملت معظم تاريخ الفلسفة الحديثة ابتدءاً بديكارت، والتي كانت تنزع دائماً إلى التجريد وغير ذات صلة بالممارسة الاجتماعية.[٢٩] يقول هوركهايمر : " **إن العجز عن التفكير في وحدة النظرية والممارسة وحصر مفهوم الضرورة في حتمية ما يحدث ، يتأسسان من منظور نظرية المعرفة ، على أقنمة ثنائية ديكارت في الفكر والوجود . تتناسب هذه الثنائية مع الطبيعة كما مع المجتمع البرجوازي طالما أنه يشبه هو نفسه ميكانيزما طبيعيا**[٣٠] ".

إن ما قصده هوركهايمر هو نقد النظرية التقليدية (في شكليْها الرئيسييْن: كنسق عقلاني ميتافيزيقي وكذلك كعلم ذرائعي) بهدف اكتشاف ما يوجِّه تاريخها وجوهرها الفلسفي ، من خارجها، بطريقة غير محكومة، ودون علمها. في المصالح البشرية المحدَّدة تاريخياً. في نفس الوقت الذي تعلن فيه ، قِيَم التجرُّد ، والحياد ، والنزاهة، التي يبدو أنها تكفل لها أصالة "الحقيقة العلمية[٣١]. داعياً بدلاً من هذا ، الى أن "**تتخذ النظرية النقدية شكل الحقائق الموضوعية البينة ، وبغير ذلك، فأنها لن تكون سوى لعبة فكرية بلا هدف، وليست أكثر من شعر مفاهيمي، وشبه تعبير عاجز عن حالات العقل**"[٣٢] . والى أن " **تُردّ معرفة الفكر بنفسه الى كشف الروابط بين المواقف الفكرية والانتماءات الاجتماعية**[٣٣]" .

لقد أراد هوركهايمر من النظرية النقدية ، نقل مفاهيم الفلسفة من عالم الفكر إلى دنيا الواقع الاجتماعي، فكل نظرية تحمل في طياتها دلائل البيئة الاجتماعية التي نشأت فيها، وليس هنالك حياة نقية للروح أو العقل، وان حياة المجتمع هي نتاج العمل الذي يمنحه مجموع قطاعات الإنتاج، والفكر الذي يريد لنفسه أن يكون عقلانياً حقاً يستطيع، بل هو ملزم، بممارسة دور راديكالي في التأثير على بنية المجتمع الذي تسوده عدم المساواة. والنظرية النقدية عليها أن تقوم بتلك المهمة من خلال استلهامها للنظرية الماركسية، فهي تعطي أحسن توضيح نظري وتفتتح الطريق لتحول عملي، إذ أن الميدان الحقيقي لتفسير علاقات الهيمنة في المجتمع يتم عبر الكشف عن نقد قوانين الاقتصاد السياسي المتحكمة بذلك المجتمع ، كما أعلن ماركس من قبل

[٣٤].ومع هذا التوجه الماركسي البيّن، إلا أن النظرية النقدية لهوركهايمر لا يمكن تفسيرها بمنهجية أحادية تعتمد علم الاقتصاد الماركسي التقليدي .اذ يقول هوركهايمر: " **الاقتصاد هو العلة الأولى لكل شر ، وعليه يجب أن ينصب النقد النظري والعملي عليه أولاً ، لكن سيكون من قبيل التفكير الميكانيكي لا الديالكتيكي الحكم على أشكال المجتمع القادم تبعاً للاقتصاد وحده**[٣٥] ".

أي إن المقولات الاقتصادية التي ابتكرها ماركس من قبل، مثل: الطبقة، الاستغلال ، فائض القيمة، الربح، الإفقار، الانهيار...الخ ، قد وجدت صداها عند هوركهايمر عبر نقل البحث عن معناها من ميدان الاقتصاد السياسي إلى ميدان الاجتماع السياسي.[٣٦] فقد كشف نقده للاقتصاد السياسي عن تحول المفاهيم الاقتصادية السائدة إلى أضدادها. التبادل الحر إلى الاحتكار، والعمل المنتج إلى الظروف التي تخنق الإنتاج، وإعادة إنتاج الحياة الاجتماعية إلى بؤس أمم بأسرها. فعالم الإنسان إلى يومنا هذا، عالم اغتراب، مماثل لعالم الطبيعة العمياء الخارجة عن قدرات البشر، فهو ليس عالمه، بل عالم رأس المال[٣٧] . أي إن مسار أفكار هوركهايمر اتجه نحو إبراز التأثير المفرط والخبيث للعوامل الاقتصادية في المجال الثقافي. وهو لم يتجاهل مطلقاً تلك العوامل.[٣٨]

وفي مقابل ذلك ، كانت النظرية التقليدية ، ممثلةً بالفلسفات العقلية " ظلت تسير في بناءات مثالية لعالم يتصالح فيه الفرد مع واقعه المزري ، دون أن ترتقي تلك المصالحة إلى وجوده الواقعي، بل أن منزلة الفلسفة في حدود عالم الفكر المحدد عدت تعريفاً جوهرياً لها. أما المهمة التي أرادتها " النظرية النقدية "، فهي تتسع إلى ابعد من ذلك بكثير، بحيث يغدو العقل الفلسفي أساسا لتنظيم اجتماعي يتماشى مع حاجات الإفراد وتطلعاتهم[٣٩] . فغدت مهمتها الأولى طرح نظرية ذات توجه اجتماعي نقدي تجاه (النظرية التقليدية) في المعرفة بوصفها نسقاً عقلانياً متيافيزيقياً ، ومن خلال الكشف عن الموجهات الخفية لتلك النظرية، التي يمكن أن تُفسَر بواسطة دراسة الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي يخفي وراءه مصلحة طبقة ما دون أخرى[٤٠]. يقول هوركهايمر : " **إن علم المجتمع البرجوازي هو ملازم ، منذ نشأته ، لتطور التقنية والصناعة ، ومن المستحيل فهمه اطلاقاً اذا لم نأخذ بعين الاعتبار سيطرة هذا المجتمع**

على الطبيعة . لكن هذا المجتمع لا يعتمد على السيطرة على الطبيعة بالمعنى الضيق ، وعلى ابتكار وسائل جديدة للإنتاج واختراع آلات وبلوغ مستوى صحي معين فحسب ، إنه يقوم على السيطرة على الناس. ومجمل الوسائل التي تؤدي الى السيطرة هي ما ندعوه السياسة[٤١] " .

وإذا كان للتاريخ البشري (عقل)، كما عند هيجل، فهذا العقل لا يكمن في الدولة بل في علاقات الإنتاج كما ذهب ماركس[٤٢]." ففي مجتمع تتحدد كليته بالعلاقات الاقتصادية تجد أن الاقتصاد غير المتحكم فيه يتحكم في جميع العلاقات الإنسانية، حتى أن ما ليس اقتصاداً يكون متضمناً في الاقتصاد ...وإن التنظيم العقلاني للمجتمع الذي تأمل إليه النظرية النقدية هو شكل جديد للتنظيم الاقتصادي يكون فيه العامل الحاسم لجعل المجتمع عقلانياً، هو تبعية الاقتصاد لرغبات الأفراد...وبدلاً من أن تكون ديناميكاً العمل هي التي تحدد الوجود العام للبشر، سيكون العكس، بان تكون احتياجاتهم هي التي تحدد ديناميكا العمل[٤٣] ".

إن هذا الأمل (الحلم) الذي رسمه هوركهايمر في عقد الثلاثينات "**لأجل خلق عالم تنتظم فيه حاجات الناس ونشاطاتهم وفق العقل وتتوافق معه**[٤٤] ". هذا الأمل كان يحمل في طياته الكابوس أيضا . اذ ، كان هوركهايمر ممزقاً بين التفاؤل والتشاؤم بشأن المستقبل ، " **عند منتهى تقدم عقل ...لا يبقّى له سوى أن يسقط في البربرية أو يبدأ التاريخ**[٤٥] ". فهو يرى : " **أن وجهات النظر التي تستخلصها النظرية النقدية من التاريخ وتعتبرها أهدافاً للنشاط الإنساني ، وعلى رأسها فكرة تنظيم إجتماعي يتناسب مع العقل والمجتمع ، إنّما هي محايثةٌ للعمل الإنساني من دون أن تكون حاضرة بالشكل الصحيح ، لدى الأفراد أو في الفكر العام للمجتمع ... وإن مقولة ماركس وإنجلس في إن البروليتاريا تخبر على أساس وضعيتها ضمن المجتمع الحديث ، الارتباط بين عمل يزود الإنسان في صراعه مع الطبيعة ، بوسائل ما تنفك تزداد قوة ، وبين تجديد مستمرّ لنظام اجتماعي بائد يتجلى في البطالة والأزمات الاقتصادية ونزعة التسلح وإرهاب الحكومات...لا تعود أسبابه الى شح الإمكانات التقنية كما كانت عليه الحال في العصور المنصرمة ، بل الى علاقات الإنتاج التي لم تعد تتناسب مع الحاضر... ومعا ذلك ، فحتى وضعية البروليتاريا في هذا المجتمع ، لا تكون ضماناً للمعرفة الصحيحة . ومهما خبرت البروليتاريا بطلان هذا الوضع من حيث استمرار وتفاقم العوز والظلم ، فأن تباين بنيتها**

الاجتماعية الذي ما انفك يُفرض من عل والتعارض بين المصلحة الشخصية ومصلحة الطبقة الذي لا يقطع في لحظات خارقة ، يحولان دون أن يتقرر ذلك الوعي ويصدق بكيفية مباشرة[٤٦]" .

وهنا يظهر جلياً تشكك هوركهايمر بالطبقة العاملة بوصفها العامل الأساس للتحولات الثورية، إلا أنه ، مع ذلك ، كان قد وضع ثقته بالمفكر النقدي أو (النظرية النقدية) ، آملاً بقدرته على نقل الوعي الثوري لتلك الطبقة ، ولإيجاد قوة تحررية حقيقية في المجتمع الحديث[٤٧]. داعياً الى الى أن يلعب المنظّر النقدي (المثقف) دوراً طليعياً وتنويرياً في المجتمع بغية كشف مظاهر الخداع والاستغلال والظلم في الوقع المُزري لأجل القضاء عليها ، مقترباً بذلك من سن دور للمثقف شبيهاً بالدور الذي أراده المفكر الماركسي الإيطالي (أنطونيو غرامشي) ، وصاغه في مفهوم (المثقف العضوي) .

يقول هوركهايمر: "**المثقف الذي يقتصر رؤاه على التمجيد والإعجاب بالقوة الخلاقة للبروليتاريا ، ويجد الكفاية في أن يتكيف معها وينوّه بها ، إنما يغفل عن أنّ كل اقتصاد في المجهود النظري الذي يتجنبه جرّاء إنفعاله الفكري ، وكل هروب من مواجهة الجماهير ومعارضتها ولو لحيّن ، مواجهة يمكن أن يفضي به فكره إليها ، إنما يجعلان الجماهير أكثر عمى وضعفا ممّا هي عليه**[٤٨] "" . ويقول في موضع أخر : " **اذا اعتبر المرء أنّ المُنظّر (النقدي) بنشاطه المخصوص هو في اتصال دينامي بالطبقة المسيطر عليها ، على نحو أن تقديمه للتناقضات الاجتماعية لا يبدو على انه تعبير عن الوضع التاريخي العيني وحسب ، بل كذلك على أنه محرك وعامل تغيير، فإن وظيفته تظهر عندئذ للعيان . إن مجرى المعارضة بين الاجزاء التقدمية للبروليتاريا والأفراد الذين ينطقون بحقيقتها ، فضلاً عن المعارضة الجارية بين تلك الأجزاء التقدمية ومنظرّيها وبين بقية الطبقة ، ينبغي أن يفهما على أنهما مسار تأثير متبادل حيث يطوّر الوعي في الوقت نفسه ، قواه المحرّرة والدافعة والضابطة كما قواه العنيفة**[٤٩]".

<u>المبحث الثاني : نهاية النظرية النقدية</u>

(من كسوف العقل الغربي الى الراديكالية اليائسة)

أولاً – كسوف العقل الغربي

إحياء تركة العقلانية الفلسفية ، هي ما توخاه هوركهايمر من مشروعه النقدي ، ويبدو أن الموّجه الرئيس في تنظيراته الفلسفية ، هو دعوة ماركس الى ضرورة تحقيق الفلسفة (في العالم المادي) . فهو يرى إن الفلسفة تعني جمع طاقات المعرفة وفروعها المختلفة في وحدة واحدة ، والحفاظ عليها حتى تُحول هذه العناصر المدمرة في بعض جوانبها الى عناصر بناءة بأكمل معنى . فالواقع لن تكتمل عقلانيته إلا اذا كانت روح البصيرة الفلسفية تُغذيه وترشده . حيث يقول هوركهايمر " الفلسفة هي المحاولة المنهجية الصامدة لإدخال العقل الى العالم " (٥٠) .

وفقاً لهذه المنطلقات ، شرع هوركهايمر في نقده لعقلانية المشروع الثقافي الغربي في جوانبه الثلاث: أي ، كنتاج فلسفي نظري ، ونظم اجتماعية تاريخية، ونسق قيمي سلوكي. فجميعها برأيه تُخفي ورائها ، إيديولوجيا شمولية متكاملة ومتماسكة، تهدف إلى تبرير التسلط، وجعله عقيدة وحيدة تغطي صور القمع المتحقق كواقع ثابت يجمع مختلف فعاليات هذا المشروع(٥١).

فكان، بصدد معركة النزعة العقلانية ، مدافعاً عن العقل ضدّ اللاعقلانية ، في محاولة لأن يُظهر كيف يُمكن للعقل أن ينزلق إلى أداة للاضطهاد . فسيادة العقل برأيه ، ليس الا "سيادة الأكثر قوة أو الأكثر مكرا". وينبغي برأيه أن يعزل عن طريق العقل ذاته ، المسار التاريخي الذي تتولد عن طريقه صورة بعينها للعقل تدمج المصلحة فى كل تقدُّم للمعرفة(٥٢).

يقول هوركهايمر:((**لقد اجتمع التنويريون وآباء الكنيسة على تقريظ العقل. فولتير يُسمّيه " هبة الله للبشر التي لا تسبر أسرارها"، و" مصدر كل مجتمع وكل مؤسسة وكل نظام"... وأما في نظر كانط فإن انتصار العقل هو المآل الخفي الذي يفضي اليه التاريخ العالمي على الرغم من فترات التقهقر وأطوار الظلمة والضلال . كانت مفاهيم الحرّية والعدل والحقيقة تقترن به . وكانت تصدق بوصفها أفكارا فطرية في العقل ... لكن العقلانية تنقلب دائما على مبدئها المخصوص وتسقط من جديد في الريبية(الشكّية) .... كانت النظريات الريبية والإمبريقية قد عارضت العقل . لقد اتّهم اليسار السقراطي (السفسطائيون) أكاديمية أفلاطون في زمن مؤسسها ، بالخرافة ، ومن ثم اعتنق الريبية. أما روجر بيكون فقد ناهض عقلانية توماس الإكويني ، إلى أن فسحت المجال مع دونس سكوت للنزعات الإمبريقية . وأما نظرية ديكارت**

في الطبيعة الروحية للإنسان فقد اعترض عليها مفكرون تقدميون وآخرون ارتكاسيون... إن الريبية تنتمي الى ذلك كله منذ البداية. وهي تشير إلى اقتصار العقلانية البرجوازية على ما هو قائم . ذلك أنّ المنظومة الاستدلالية لا تخطط لأي يوتوبيا ، ومفاهيمها الكلّية لا تدل على كلّية الحرية ، بل على كونية الحساب . بهذا تتمسك الريبية تمسّكا شديدا ... أما اليوم فلم يُبق التطهير الريبيُ على الشيء الكثير من مفهوم العقل . فقد فُكك هذا المفهوم تفكيكا ... في الماضي ، كان العقل عضو الأفكار الأزلية التي لم يكن الأرضيُ بالنسبة اليها غير مسرح ظلال . وكان يتعين على العقل أن يتعرف على نفسه من جديد في أنظمة الوجود ، وأن يكتشف الشكل الثابت للواقع الفعلي الذي يعبّر فيه العقل الإلهي عن نفسه . لقد اعتقد الفلاسفة على مرّ آلاف السنين ، أن مثل هذه المعرفة بحوزتهم . وأما الآن فقد أخذوا يصوبون معتقدهم ذاك . إذ ولا مقولة من مقولات العقلانية بقيت قائمة ... مع العقل ، جميع الأفكار معرضة للشّبهة ، طالما إنها تشي الى ما يتعدى الواقع الفعلي المعطى... بل رُدّ العقل بكيفية أكثر جذرية من قبل ، إلى دلالته الأداتية . لقد ولّت أطروحات الميتافيزيقا العقلانية ، وبقي المسلك الغائي[٥٣]**)).**

لقد تعمدنا فيما تقدم إيراد نصوص مطولة من صفحات شتى من مقالة هوركهايمر(العقل والمحافظة على الذات) التي كتبها عام ١٩٤٢ ، لكونها تؤشر بدايات كشفه لملامح " كسوف العقل " الغربي ، والذي عرضه بإسهاب في كتابه المشترك مع ثيودور ادورنو عام ١٩٤٧، اي (جدل التنوير) .

وآراء هوركهايمر المتقدمة ، تُقيم مقابلة بين (العقل الموضوعي) المتمثل بالتقاليد الميتافيزيقية الغربية ، وبين (العقل الذاتي) المتمثل في التفكير العلمي – التقني الحديث . وهو يرى أن التحول الثقافي الهائل الذي حدث في أعقاب هذا التغير في نماذج العقلانية نحو هيمنة " العقل الذاتي " يستتبع في الوقت نفسه انتكاساً كبيراً على مستوى التحرر الإنساني[٥٤] .

وقد اشار هوركهايمر الى نموذجين من المعرفة : ((**أحدهما تأسس في سياق (مقال في المنهج) والآخر في سياق النقد الماركسي للاقتصاد السياسي .النظرية التقليدية بالمعنى الذي أسسه ديكارت وكما هي قائمة في مجال العلوم المتخصصة ، تنظّم التجربة على أساس**

مشكلات تتلازم مع معاودة إنتاج الحياة داخل المجتمع الراهن ...التكوّن الاجتماعي للمشاكل والوضعيات الفعلية التي يُستخدم فيه العلم ، والغايات التي تطبق لأجلها ، تصدق بالنسبة للنظرية التقليدية ، على إنها خارجية عنها . وفي المقابل ، النظرية النقدية للمجتمع موضوعها البشر من حيث كونهم ينتجون كامل الاشكال التاريخية لحياتهم . علاقات الواقع الفعلي وروابطه التي ينطلق منها العلم ، لا تبدو لهذه النظرية على أنها معطيات سيتعيّن إثباتها وتوقعها طبقاً لقوانين الاحتمال . ما هو معطى دائما لا يتعلق بالطبيعة وحدها ، بل كذلك بما يستطيع الإنسان فعله في الطبيعة[٥٥])).

وفقا لذلك ، كان هوركهايمر مناهضاً للمذهب الوضعي للقرن التاسع عشر ، بسبب موقفه الدوغمائي في " الاعتقاد العام في ثبات القوانين الطبيعية " ، الذي يرفع الى الوعي تبعية الفعل للمعرفة بالنظام الطبيعي ، لا تبعية النظام كما المعرفة به لنشاط البشر . وانتقد توجهه في الاعتقاد بإمكان وضع قوانين تفسر العالم انطلاقاً من انطباعات حسّية تصدق "بشكل مؤقت" . فضلاً عن تباهيه بعدم الانشغال ب " ماهية " الاشياء ، بل الظاهرات فحسب . مشيراً الى أراء اوجست كونت وجون ستيوارت مل[٥٦] .

وقد توخى هوركهايمر بهذا تقديم تفسير يؤول العلم الحديث ، ممثلاً بالفلسفة الوضعية ، على أنه ازاح النقاب عن المطلب العام بالمعرفة النظرية لصالح المنفعة التقنية ، حينما فهم المعطى بوصفه معطى ، وتخلى عن ربط الوقائع بالعلاقات المكانية الزمانية التي تسمح بالتقاطها والتفكر فيها ، وبعيداً عن تحري الدلالات الاجتماعية والتاريخية والإنسانية [٥٧].

والواقع أن ما يميِّز النهج العلمي، بوصفه الوجه الأحدث للنظرية التقليدية ، برأي هوركهايمر ، هو أنه عاجز عن إمعان التفكير في ذاته ، وعن أخذ تاريخه الخاص على عاتقه ، وعن تحديد توجهاته من تلقاء نفسه . اذ يبدو ان الأوضاع التي يتمّ فيها الانتفاع بالعلم ، والغايات التي يُطَبَّق لتحقيقها، بعيدة عن منشأها الاجتماعي ، وكأنها موضوعة من خارجه"؛ ومعزولة عن العمل الإنساني . فالعلم ذاته لا يدرك لماذا ينظِّم الوقائع في اتجاه بعينه على وجه التحديد ، ولا لماذا يمعن التفكير في موضوعات بعينها وليس في موضوعات أخرى. فهو يفتقر إلى معرفة

الدوافع الاجتماعية التي تدفعه فى اتجاه بعينه، على سبيل المثال فى اتجاه تكريس جهوده لأبحاث الفضاء والتسلح ، وليس لرفاه البشر [٥٨].

إن حجة هوركهايمر تزعم –كما يشرح ذلك هابرماز– " **أن العقل نفسه يدمر الاتجاه الإنساني Humanism الذي جعله ممكننا ... إن سيرورة الانوار (العقل) تم إطلاقها منذ اصولها بغريزة بقاء تقلص العقل بقدر ما تعود اليه عبر اشكال حيث يوظف العقل في المنظور الغائي للسيطرة على الطبيعة وعلى الدوافع الغريزية ، اي بوصفه عقلاً أداتياً . وتبقى البرهنة على إن العقل ، بما يتضمنه من الانشاءات الأكثر حداثة – اي العلم الحديث، والأفكار الكلية عن الحق والاخلاق ، والفن المستقل – يستمر في الاذعان لأمر العقلانية الغائية** " [٥٩] .

ولقد عرض هوركهايمر لنماذج عدة من صور هذا العقل ، الذي تعددت أوصافه عنده بين (أداتي ، ذرائعي ، نفعي ، تقني ، مُهيمن ، شمولي) ، كما أظهر استبطانه في دعاوى اتجاهات فلسفية متباينة ، تجلت انحرافاتها في الفصل بين القيمة والبحث ، المعرفة والممارسة ، وإلى غير ذلك من متقابلات أخرى . " **كانط ، مثلاً ، وهو من رفع شعار التنوير** " **لتكن لديك الشجاعة على استعمال عقلك** " **. لم يكن القانون الاخلاقي يعبر في مذهبه ، عن شيء آخر غير استقلال العقل المحض ، أي عن الحرية... أما فيشته ، فيبدو مضمون فلسفته مطابقاً لإرتضاء القمع الخارجي من حيث يظن أن الحرية مودعة في الصدور ، على نحو أنه بقدر ما يشدد على تقوية استقلالية الشخص الفكري ، تتعمق عبودية الشخص الفعلي** " [٦٠].

أما لايبنتز ، فكان قد عرض بكل وضوح الطابع المجرد لمقولة الفرد :" **مركز قوة ميتافيزيقي ، منغلق على نفسه ومنفصل عن بقية العالم ، مونادة جعلها الله تتأسس على نفسها ، مفردة بإطلاق . مصيرها حسب لايبنتز ، منقوش فيها في حد ذاتها ، ودرجة تطوّرها وسعادتها وشقاؤها ، تعود كلها الى دينامية باطنها... لقد صيغ مفهوم الفرد الحرّ الذي يقابل به الفكر البرجوازي العصر الوسيط ، باعتباره ماهية ميتافيزيقية ثابتة ، بواسطة هذا الفصل للفرد عن المجتمع والطبيعة ، فصلاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالثنائيات الفلسفية الأخرى ، من مثل الفكر والكينونة ، الماهية والظاهرة ، الجسم والروح ، الاحساس والذهن**[٦١]"

لقد فسر هوركهايمر هذه الثنائية التي سادت الفلسفة "البرجوازية" ، على إنها قد وفرت بيئة خصبة للاستسلام للواقع المزري الذي يعاينه الإنسان آنذاك ، فهي : " **عندما تعمل على تخطي الفصل بين الأنا والعالم بواسطة التفكير وعلى وضع التاريخ والطبيعة بوصفهما تعبيراً وتجسيداً ورمزاً للطبيعة او الفكر البشري ، فإن في ذلك إقرارا بالواقع بوصفه مبدأ ومن حيث له مشروعيته بما هو كذلك ، لا بوصفه شيئاً تابعاً ومتبدلاً**[٦٢] ".

وهكذا ، ظهر التعارض شديداً بين العقل والنفوذ ، في العصر الوسيط والحديث ، فكان تقلب علاقات الملكية والحقّ ، بادياً في علاقة التفاوت والتضارب بين الإنجازات غير الكافية لنمط الإنتاج والحاجات المتزايدة للجماهير. وكانت الآليات الاقتصادية العمياء ، آلهة مجهولة تستعبد البشر ويحيل اليها أولئك الذين يربحون باسمها الامتيازات[٦٣].

ويعلق هوركهايمر على ما تقدم بالقول : ((لا أحد رأى بوضوح الترابط بين هذا الوضع العامّ والفلسفة المثالية ، أكثر من نيتشه . فهو يقول : " إن هيجل قد غرس في الأجيال التي تشعبت بفكره ، ذلك الاعجاب ب "سلطة التاريخ" الذي يتحول الى عملياً وفي كل طرفة عين ، الى إعجاب مكشوف بالنجاح ويُفضي الى عبادة وثنية للواقع ... من تعلم في بادئ الأمر أن يطأطئ رأسه وينحني امام "سلطة التاريخ" ، يفضي به الأمر في نهاية المطاف ، الى القبول بكل سلطة ...أنعموا النظر فقط في دين السلطة التاريخية ، وانتبهوا إلى كهنة ميثولوجيا الأفكار والى رُكبهم المجروحة ! ألا تمشي الفضائل كلها على خطى هذه العقيدة الجديدة ؟ " [٦٤])).

ثانياً : الراديكالية اليائسة

مع كتاب (جدل التنوير) الذي كتبه هوركهايمر ، بالاشتراك مع ادورنو ، عام ١٩٤٢. وصل الارتياب بالعقل عند هوركهايمر الى حدوده بعيدة . فقد انتهى العقل بصورته الأداتية التي أظهرها هوركهايمر الى الالتباس بالسلطة ، متخلياً بهذا الشكل عن قوته النقدية . بعد أن خبأ الأمل بالدور المأمول الذي كان يرتجيه من النقد والمفكر النقدي ، والذي كان يراهن عليه في عقد الثلاثينات .

ومع إن المنحى العام الذي يُقدم لتعريف (التنوير) من قبل هوركهايمر، يشير إلى فكرة التقدم وتحرير الإنسان من الخوف وجعله سيداً من خلال التحرر من التفكير الأسطوري وإحلال التفكير العلمي بدلاً عنه[٦٥] .إلا ان العقل قد جُرد من الأخلاق والحق برأيه ، بعد أن أزاح العلم الحديث النقاب عن مطلبه العام بالمعرفة النظرية وأفصح عن وجهه الحقيقي الكامن في المنفعة التقنية[٦٦]. فالتطور التكنولوجي والعقل الأداتي الذي عايشه هوركهايمر في ظل الرأسمالية الامريكية ، أديا إلى هيمنة شاملة على العالم بحيث لم يعد العالم في ظلهما سوى مجال للمراقبة والخداع، حيث تحولت مبادئ التنوير إلى ذرائع سياسية متكاملة. إذ إن مدنية عصر التصنيع قد أفرزت قيم ومعايير نفعية وأنانية ، تحول فيها الإنسان إلى آلة وأصبحت هي السمة الأبرز للحضارة المعاصرة . بدل أن يكون الإنسان سيد الآلة وهو القادر على توجيهها لتوفير السعادة الحقيقية للبشر[٦٧].

حيث يزعم هوركهايمر((**إن سيرورة حفظ البقاء التي تتم عبر شكل وطبيعة العمل في النظام الرأسمالي تشترط على الأفراد إعادة تطويع أجسادهم وأرواحهم تبعاً لمعدات التقنية، ففي عالمنا المعاصر الذي يُسير بواسطة التقنية، يترافق ذلك التيسير مع الهيمنة على الإنسان**[٦٨])) .إذ إن بنو البشر وهم يشكلون هويتهم بقدر ما يتعلمون السيطرة على الطبيعة الخارجية إنما يقهرون طبيعتهم الداخلية[٦٩]. وقد نبع هذا التشاؤم من قناعة مفادها أن طبيعة الرأسمالية الاحتكارية المعاصرة ، قد أنتجت مجتمع أحادي البعد، تبدو فيه استحالة التحرر والانعتاق[٧٠]. وأن مظاهر التناقض في العقل التنويري بين التقدم والتقهقر، تبدو جلية، بين ما يظهره العلم بوصفه أداة تحرر للإنسان، وبين حقيقته كأداة للهيمنة عليه ولسلب حريته[٧١].

ومن جانب آخر، يبدو واضحاً أن للظروف التاريخية التي أحاطت بهوركهايمر وادورنو، الأثر الأكبر في طرح مثل هكذا أفكار، لاسيما صعود النازية في ألمانيا ونجاحها في الهيمنة السياسية والإيديولوجية على أوربا. فثمة مقاربة قد عقدت بين إنتاج هكذا أنظمة وبين بنية المجتمع الذي أنتجها برأيهما: ((**في الاستعداد الغريب الذي تظهره الجماهير التي اكتسبت تربية تقنية من خلال إعجابها بأي نوع من الاستبداد، وصلاتها التدميرية الذاتية بالترابط مع شعور عرقي**

بالعظمة، كل هذه الأمور العبثية غير المفهومة إنما تفصح عما أصاب العقل النظري حالياً من ضعف[٧٢])).

إن (العقل) لم يبد سوى وجهه (الأداتي)، الذي ظهر في الرغبة المهووسة لا في السيطرة على الطبيعة وحدها، بل كذلك على الطبيعة البشرية، إذ إن ((**نمو الإنتاجية الاقتصادية التي تخلق من جانب شروط عالم أفضل، فإنها من جانب آخر تحول الفرد صفراً بالمقارنة مع القوى الاقتصادية. ففي زمن يسود موقف لا عدالة فيه، يزداد أيضاً عجز الجماهير بقدر ما يزداد التراكم الكمي للخيرات التي توضع بتصرفها. إن ارتفاع مستوى حياة الطبقات الدنيا، بشكل واضح مادياً وبشكل لا دلالة له اجتماعياً ينعكس فيما نسميه نفاقاً سيادة العقلانية**[٧٣])).

وفق ذلك، نجد أن ثمة تحولاً طرأ على ما كان يتبناه هوركهايمر ونظريته النقدية، إزاء أطروحات فلسفة ماركس، فهو قد استعاض عن فكرة الصراع الطبقي، بوصفه محركاً للتاريخ، بنزاع أشمل طرفاه الإنسان وطبيعته الداخلية، بعد أن تم تضليل الإنسان تجاه حاجاته الحقيقية ، والنتيجة هي إن البروليتاريا أصبحت اشد وهناً من قبل، وغدا التاريخ لا يسير في طريق خلاص البشرية.[٧٤] فالبروليتاريا ووعيها الثوري، التي كانت بمثابة المنقذ الذي رهن ماركس إليه مهمة التغيير الاجتماعي، قد خبأ وتلاشى نهائياً في أطروحات (جدل التنوير)، إذ جاء فيه :((**إن حمم البروليتاريا لا تقدم أي نفع لإذابة جمود القادة. والمجتمع الصناعي المتقدم هو الذي يتغذى من تأخر الذين يسيطر عليهم**[٧٥])). بدل أن تتغذى البروليتاريا على تناقضات الرأسمالية كما ظن ماركس بأن الأخيرة تحمل بذرة فنائها بداخلها . بل أن العكس هو ما حدث. ((**فإن حالة الجماهير في تراجع، فهم أعجز من أن يسمعوا بأذانهم ما لا يعرفونه وأن يلمسوا بأيديهم ما لم يسبق لهم لمسه**[٧٦])).فالوعي الطبقي الذي كان عند ماركس شرط الثورة وعاملها الأساس، هو أبعد ما يكون عن البروليتاريا المعاصرة.

لقد أعلن هوركهايمر وادورنو أن الأمل في تحقيق عالم أفضل تلاشى نهائياً، وأن التاريخ فقد صورة كونه طريقاً للخلاص، فقد غاب الفاعلون عن صنع هذا العالم.[٧٧] بل إن مجتمع الحرية الذي بشرت به الاشتراكية والقائم على نقد الاقتصاد السياسي الذي قام به ماركس، لم يعد ضمانه

كافية، فقوى الإنتاج غدت مجهولة، وعدم نجاح البروليتاريا كذات محركة للتأريخ لا يعبر عن فشل الحركة الاجتماعية فحسب، بل هو فشل للعقل البورجوازي والعقل بصفة عامة[٧٨].

وبعد أن حارب فلاسفة الأنوار في القرن الثامن عشر كل وصاية و سلطة –لاهوتية أو سياسية– لأجل تحرير الإنسان منها وتنصيب العقل حكماً ومرجعاً وسلطة لا تعلوها سلطة أخرى، أصبح الفرد في عصرنا الحالي يجد نفسه أمام وصاية جديدة أعمق واخطر، إذ أصبحت السيطرة تمارس عليه بصورة شاملة، على عقله وعواطفه ورغباته وعلى شعوره ولا شعوره، بفضل تأثير وسائل الدعاية والإعلام والإعلان التي ترتبط بنظام الإنتاج والاستهلاك في المجتمعات التي تحكمها العقلية الأداتية ، والتي تدفع الفرد إلى التكيف مع ظروف القهر والسيطرة التي تفرضها.[٧٩]

إن قيمة (جدل التنوير) هي تأكيده على مفهوم (العقل الأداتي) الذي تحول إليه (العقل) الغربي تحديداً، حين صار منطق وتفكير وأسلوب رؤية العالم في المجتمع الرأسمالي تابعاً للعامل الاقتصادي. إذ جعل الأخير العلاقات بين البشر كما لو أنها علاقات بين أشياء، وإن نظرة البشر لأنفسهم ولغيرهم كنظرتهم للأشياء المادية، وإن العالم الاجتماعي أصبح يبدو كما لو أنه طبيعة ثانية إلى جانب العالم الطبيعي الأصلي، بل إنه أصبح كالطبيعة نفسها ، غير قابل للتغير ومستقلاً عن أفعالنا[٨٠] . لقد غدا ((**العقل ليس أكثر من مساعد للآلة الاقتصادية التي شملت كل شيء**[٨١])). وهو قد استحال إلى أداة للسيطرة والهيمنة على الأفراد ، بعد أن كانت الفلسفة ترى فيه الوسيلة الأنجح لتحرر الإنسان. فكانت النتيجة الحتمية لهذه الهيمنة هي عجز الطبقة العاملة في ظل (العمى) الذي أصبح المجتمع جميعاً أسيراً له، بدل أن تكون تلك الطبقة ووعيها الثوري أساساً للتنوير والتحرر كما تصور ماركس من قبل[٨٢] .

وهكذا، يتضح من خلال ما تقدم ، مدى التحول الذي طرأ على توجهات النظرية النقدية عند هوركهايمر من مرجعيتها لماركس، إلى انعطافها نحو تشاؤمية نيتشه، حيث غدا الأخير، في نظره ، من الفلاسفة القلائل الذين أدركوا حقيقة جدل التنوير (العقل) الغربي.[٨٣] حيث رصد هابرماز بإسهاب هذا الانعطاف نحو نيتشه، من خلال تأكيده على أن (جدل التنوير) قد تخلى عن النقد الماركسي للايدلوجيا واتجه نحو استلهام معايير نقد نيتشه للثقافة الغربية التي أصر

فيها على أن نتاج تلك الثقافة هو تطابق للعقل مع السلطة. وان الشرارة الأخيرة للعقل قد خبئت وأضحت بعيدة عن عالمنا، ولم تبق إلا أنقاض حضارة على حافة الدمار بلا أمل يرتجى.[٨٤]

إضافة إلى أثر نيتشه هذا، مثل مفهوم (العقل الأداتي) المطروح في (جدل التنوير) نوعاً من العودة إلى مفهوم (ماكس فيبر) عن الفعل العقلاني الهادف، وثمة تشابه واضح مع أطروحات الأخير عن الرأسمالية الصناعية وتأكيداته على أن العقلانية التقنية أو الترشيد قد تم توظيفها كقوى مجردة لتشكل مجتمعاً خارج نطاق التحكم البشري، حتى انتهت العقلنة إلىأن المجتمع أصبح عرضة لتسلط علاقات ذرائعية محضة اختنقت فيها الإبداعية الفردية والقيم الشخصية.[٨٥]

إن تحولات النظرية النقدية من المرجعية الماركسية إلى المرجعية الفيبرية، اتخذت شكلاً أكثر وضوحاً في الخمسينيات والستينيات.[٨٦] إذ إن إحساس هوركهايمر المرير بأننا نقاد، ليس نحو عالم أكثر عقلانية، بل ننكص إلى عالم غير عقلاني، والتمسك بهذه الفكرة المناقضة لفلسفة التاريخ الماركسية، قد وضعه في مأزق، كيف لا، وهو قد انتهى إلى أن تقدم العقل (الأداتي) إلى إمام، يعني تراجع التحرر الإنساني إلى الوراء. وبعد أن كان مشروع النظرية النقدية يهدف إلى جعل العالم مكاناً أكثر عقلانية من خلال (النقد)، انكفأ هذا المشروع بعد أن غدا العقل، تلك الأداة المعيارية التي يستخدمها، أداة للقمع.[٨٧]

لقد مثل التشاؤم قاسماً مشتركاً لمشروع النظرية النقدية عند هوركهايمر، بعد قاسم النقد. وهو رغم كونه مبدأ فلسفيا تأسيسيا، باعتبار أن بدايات النقد الأصيل إنما تبدأ من التشاؤم ذاته، إلا أن ذلك لم يحل دون تهاوي مشروع هوركهايمر النقدي ، إذ تم التخلي عن البرنامج الأصلي للنظرية النقدية في عقدي الخمسينيات والستينيات.[٨٨] فإبان عودة المعهد ثانية إلى فرانكفورت، فإننا سنشهد التحول الأكبر في فكر هوركهايمر وانتكاسة وتدهور إنموذجه للنظرية النقدية وانقلابه على برنامجها الأصلي لمرحلة الثلاثينيات. فهو قد ((تنازل في أواخر حياته عن دوره كمنظر نقدي، وانتقل إلى نوع من التفكير الديني، واضعاً كانط وهيجل في مكانة أعلى من ماركس، ورأى عظمة المثاليين الألمان في قرابتهم الوثيقة مع التدين اليهودي والفكر اليهودي))[٨٩].

إن مشاريع هوركهايمر الفلسفية التي كانت على علاقة مباشرة مع البحوث التجريبية كما ظهر في دراسته حول (الشخصية السلطوية) افتقدت إلى الوحدة الدينامية بدءاً من الخمسينيات

والستينيات[٩٠]. ومطامحه السابقة حول مجتمع أكثر عقلانية، التي كانت قد حظيت باهتمام الكثيرين، أصبحت باهتة جداً، وأضحى من الصعب جداً العثور على ملامح البرنامج الأصلي لنقد الايدولوجيا في أعماله المتأخرة[٩١]. بعد أن اتجه تفكير هوركهايمر يوماً بعد يوم نحو اللاهوت ، وبعد أن أخذ بتنمية مفاهيم لاهوتية تقوية مفرطة، حتى انتهى أخيراً إلى أن أعلن أنه لا يستطيع تبني أي فلسفة أو فكر نقدي مفتقر إلى عناصر لاهوتية[٩٢].

لقد قادت أراء هوركهايمر هذه ، إلى أن توصف من قبل زميلة ماركيوز بأنها تحت مستوى النقد، لأنها مثلت خيانة للإنتاج المبكر للمعهد.[٩٣] كما وصف هابرماز هذا التحول بأنه دليل على انحدار في صميم وإبداعية هوركهايمر في الخمسينيات والستينيات، إذ إنه رغم إدراكه لمأزق العقل الحديث، إلا أن المآل الذي انتهى إليه موقفه من ذلك كان مخيباً جداً، فقد كان عاجزاً عن إتباع ادورنو أو ماركيوز في مسارهما البديل عن قوة تعويضية، سواء في الفن كما عند الأول أو في قوى جديدة للثورة كما عند الثاني.[٩٤]

هوامش البحث

---

[١]) هابرماز (يورغن) : الدين والعقلانية (نصوص وسياقات) ، ت – حسن صقر ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط ١ ، –١٦ ، ص ١٢٧.

[٢] ينظر–آسون (بول لوران) : مدرسة فرانكفورت، ترجمة–سعاد حرب ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ص١١–١٤.

كذلك– سليتر (فيل) : مدرسة فرانكفورت (نشأتها ومغزاها) ترجمة–خليل كلفت، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ط٢،٢٠٠٠، ص٣٣–٣٥.

كذلك– بوتومور (توم) : مدرسة فرانكفورت ، ترجمة – سعد هجرس ، مراجعة – محمد حافظ دياب ، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس – ليبيا، ط ٢ ، ٢٠٠٤، ص٤٠–٤٥.

[٣] Stanford Encyclopedia of philosophy, (Max Horkhiemer).in .www.Plato.Stanford.edu.

[٤] Kellner (Douglas): Critical theory, Marxism and modernity, the johns Hopkins university press, Baltimusre, 1989, P.9.

. p.14.

[٥] آسون (بول لوران) : المصدر السابق، ص١٤.

[٦] المصدرين أعلاه ، الصفحات نفسها.

[٧] Stanford Encyclopedia of Philosophy, (Max Horkhiemer). In –www. Plato. Stanford. edu.

[٨] Jay (martin): The Dialectical Imagination (a history of the Frankfurt school and the institute of social research 1923–1950), Heinemann educational book, London, 1973, P.3, P.3.

[٩] Ibid, P. 37–40.

[١٠] ينظر– هاو(الن) : المصدر السابق، ص٤٨. كذلك– كلنر (دوغلاس): الماركسية الغربية، ترجمة– كامل شياع ، سلسلة قضايا فكرية (منشورات الحزب الشيوعي العراقي) ، بغداد، ٢٠٠٨، ص١٥.

[١١] آسون (بول لوران) : المصدر السابق، ص١٦.

[11] Jay (Martin) : op.cit. (in the interdiction).

[١٣] كلنر (دوغلاس): المصدر السابق، ص٢٣.

[١٤] طاهر (علاء): مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر االى هابرماز، منشورات مركز الانماء القومي، بيروت، ط١، ب،ت، ص٥٧

[١٥] آسون، بول لوران: المصدر السابق، ص١٦، كذلك–

Stanford Encyclopedia of Philosophy–(Max Horkhiemer), in www.plato.stanford.edu

[١٦]) ينظر – هابرماز (يورغن) : الدين والعقلانية (نصوص وسياقات) ، ص ١٢٧ – ١٧٧. كذلك – فيري (لوك) و آلان رينو : ماكس هوركهايمر والنظرية النقدية ، ت – خليل كلفت (http://www.ahewar.org)

[١٧]) فيري (لوك) وآلان رينو : المصدر السابق .

[١٨]) وولين (ريتشارد) : مقولات النقد الثقافي (مدرسة فرانكفورت ، الوجودية ، ما بعد البنيوية) ، ت – محمد عيناني ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٦. ص ٥٧–٥٨.

[١٩]) هابرماز (يورغن) : القول الفلسفي للحداثة ، ت – فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٥ ، ص ١٨٦.

[٢٠] Horkhimer (Max): The present situation of social philosophy and the tasks of an institute for social research .p .1.(in–www.marxists.org).

[٢١] Horkhimer (Max):op.cit .p3.

[٢٢]) هوركهايمر (ماكس): النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ت – ناجي العونلي ، منشورات الجمل ، بغداد – بيروت ، ط١ ، ٢٠١٥ ، ص ٥٠.

[٢٣] سليتر (فيل) : المصدر السابق، ص٣٦.

[٢٤] يثني الن هاو على استخدام دوغلاس كلنر لهذا المصطلح (تخطي الفروع المعرفية) وليس (تداخل الفروع المعرفية) ، فهو وصف ينطبق تماماً مع الغاية منه، وهي وفق هوركهايمر الجمع بين وجهات نظر متباينة استناداً إلى تباين واختلاف الاختصاصات المعرفية، لا الاكتفاء بربط كل شي بالاقتصاد السياسي فحسب. بالتالي الإقرار بالاختلاف بين الفروع وليس خلطها معاً. ينظر–هاو(آلن): المصدر السابق، ص٣٨.

(٢٥) Kellner (Doglas) : Critical theory, Marxism and modernity, p.1.

٢٦) وولين (ريتشارد) : المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥

٢٧) هابرماز : الدين والعقلانية ، ص ١٢٨.

٢٨) وولين (ريتشارد) : ص ٨٨.

(٢٩) ينظر – بوبنر (روديجر) : الفلسفة الالمانية الحديثة، ترجمة-فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧ ، ص ٢٤٢.

٣٠) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ت – ناجي عونلي ، ص ٣٥٥.

٣١) فيري (لوك) وآلان رينو : المصدر السابق.

(٣٢) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ترجمة – مصطفى الناوي ، مراجعة – مصطفى خياطي ، عيون المقالات للنشر ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ص ٣١ – ٣٢ . كذلك – بوتومور (توم) : المصدر السابق، ص٦٥.

٣٣) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ت – عونلي ، ص ٣٢٧.

(٣٤) جان (جيرار) : من فرانكفورت إلى فرانكفورت، مجلة المنار، دار الفكر العربي للأبحاث والنشر، باريس ، العدد ٦٠، ١٩٨٥، ص١٦٧.

(٣٥) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ص ٧٩ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٤٣ – ٤٤ . كذلك ، ينظر – آسون(بول لوران) : السابق، ص٩١.

(٣٧) سليتر(فيل) : المصدر السابق، ص٦٣. كذلك ، ينظر – هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ص ٧٨ .

(٣٨) هاو(الن) : المصدر السابق، ص١١٧.

(٣٩) ماركيوز(هربرت): فلسفة النفي – دراسات في النظرية النقدية –، ترجمة – مجاهد عبد المنعم مجاهد ، منشورات دار الآداب – بيروت ، ط ١ ، ١٩٧١، ص١٥٤.

(٤٠) مهيبل (عمر): إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الاختلاف-الجزائر والدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٢٩٩.

٤١) هوركهايمر (ماكس) : بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية ، ت – محمد علي اليوسفي ، دار التنوير ودار الفارابي ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ١٢-١٣.

(٤٢) سوسان(جيرارين) وجورج لابيكا : معجم الماركسية النقدي ، ترجمة جماعية، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٣، ص٢٨٩- ٢٩٠.

(٤٣) ماركيوز(هربرت) : فلسفة النفي، ص١٥٦.

(٤٤) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ت- ناجي العونلي، ص ٧٧.

٤٥) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ت – ناجي العونلي ، ص ٤٢٦ (مقالة العقل والمحافظة على الذات)

٤٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٤٧) بوتومور (توم) : المصدر السابق: ص٤٦.

[٤٨]) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ت – ناجي العونلي ، ص ٣٣٣ .

[٤٩]) المصدر نفسه ، ص ٣٣٥.

[٥٠]) وولين (رينشارد) : المصدر السابق ، ص ٦٩–٧٠

[٥١]) بوتومور (توم): المصدر السابق، ص٢٠ (مقدمة الطبعة العربية للدكتور محمد حافظ دياب).

[٥٢]) ينظر – فيري (لوك) وآلان رينو : المصدر السابق .

[٥٣]) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ت – ناجي العونلي ، ص ٣٨٣ – ٣٨٧.

[٥٤]) ووين (رينشارد) : المصدر السابق ، ص ٧٢.

[٥٥]) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ت – ناجي العونلي ، ص ٣٧١–٣٧٢.

[٥٦]) المصدر نفسه ، ص ٦٠–٦٢.

[٥٧]) هابرماز (يورغن) : القول الفلسفي للحداثة ، ترجمة– د.فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، ١٩٩٥، ص ١٧٨–١٧٩.

[٥٨]) فيري (لوك) : المصدر السابق .

[٥٩]) هابرماز (يورغن) : (المصدر السابق ، ص ١٧٨.

[٦٠]) هوركهايمر (ماكس) : النظرية التقليدية والنظرية النقدية ، ت –٠ ناجي العونلي ، ص ٢٢٥–٢٢٦

[٦١]) المصدر نفسه ، ص ٢٣١.

[٦٢]) المصدر نفسه ، ٢٣٢.

[٦٣]) ينظر – المصدر نفسه ، ٢٣٨–٢٥٣.

[٦٤]) المصدر نفسه ، ص ٢٥٤–٢٥٥.

[٦٥]) هابرماز (يورغن) : القول الفلسفي للحداثة ، ص٢٣.

[٦٦]) المصدر نفسه، ص١٧٨–١٧٩.

[٦٧]) الحيدري(د. ابراهيم) : مدرسة فرانكفورت بين الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين – بغداد، العدد ٤٣–٤٤، ٢٠١٠، ص٢٠٥.

([٦٨]) هوركهايمر (ماكس) وثيودور ادورنو: جدل التنوير، ت–جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٥٢.

[٦٩]) هابرماز (يورغن) : القول الفلسفي للحداثة، ص١٧٦.

[٧٠]) هاو (الن) : المصدر السابق، ص٧٨.

[٧١]) الخوني(د. .محسن) : التنوير والنقد(منزلة كانط في مدرسة فرانكفورت)، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٦ المصدر السابق، ص٢١٦.

[٧٢]) هوركهايمر(ماكس) وثيودور ادورنو: جدل التنوير ، ص١٦.

[٧٣]) المصدر السابق، ص١٧.

[٧٤]) الخوني (د.محسن) : المصدر السابق، ص١٤٠–١٤١.

[٧٥]) هوركهايمر(ماكس) وثيودور ادورنو: المصدر السابق، ص٥٩.

[٧٦]) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(٧٧) الخوني(د.محسن) : المصدر السابق، ص١٤١.

(٧٨) مصدق (د.حسن) : المصدر السابق، ص٤٤.

(٧٩) بومنير (د. كمال) : جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت (نموذج هربرت ماركيوز)، منشورات الاختلاف–الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص٤٥.

(٨٠) كريب(أيان) : النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماز، ترجمة–د.محمد حسين غلوم مراجعة– د.محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، ١٩٩٩، ص٣١٥.

(٨١) هوركهايمر(ماكس) وثيودور ادورنو: المصدر السابق، ص٥٨.

(٨٢) المصدر نفسه، ص٥٨، ٥٩، ٦٤ .

(٨٣) المصدر نفسه، ص٦٨.

(٨٤) هابرماز (يورغن) : القول الفلسفي للحداثة، ص١٨٢–١٩٦.

(٨٥) بوتومور (توم) : المصدر السابق، ص٧٤–٨٠.

(٨٦) المصدر نفسه، ص٧٨.

(٨٧) هاو (ألن) : المصدر السابق، ص٨٨.

(٨٨) مهيبل (عمر) : إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ، منشورات الاختلاف–الجزائر والدار العربية للعلوم ناشرون–بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٠٣.

(٨٩) بوتومور(توم): المصدر السابق، ص٨٧.

(٩٠) Held (David) : Introduction to critical theory, p. 198.

(٩١) Ibid, p. 198.

(٩٢) Ibid, p. 198.

(٩٣) سليتر(فيل) : المصدر السابق، ص١٤٧.

(٩٥) هاو (الن) : المصدر السابق، ص٨٨.